

أضواء البيان

@ 220 @ أظهر أقوال العلماء في هذه الآية الكريمة ، أن الكافرين الذين قالوا للمؤمنين لو كان خيراً ما سبقونا إليه ، أنهم كفار مكة ، وأن مرادهم أن فقراء المسلمين ، وضعفاءهم كبلال وعمار وصهيب وخباب ونحوهم ، أحقر عند الله من أن يختار لهم الطريق التي فيها الخير . .

وأنهم هم الذين لهم عند الله عظمة وجاه واستحقاق السبق لكل خير لزعمهم أن الله أكرمهم في الدنيا بالمال والجاه ، وأن أولئك الفقراء لا مال لهم ولا جاه ، وأن ذلك التفضيل في الدنيا يستلزم التفضيل في الآخرة . .

وهذا المعنى الذي استظهرناه في هذه الآية الكريمة تدل له آيات كثيرة من كتاب الله ، وخير ما يفسر به القرآن القرآن . .

أما ادعاؤهم أن ما أعطوا من المال ، والأولاد والجاه ، في الدنيا دليل على أنهم سيعطون مثله في الآخرة ، وتكذيب الله لهم في ذلك ، فقد جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى { أَيْحَسِبُونَ أَنْ نَمَنَّاهُمْ بِمَالٍ مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَبِأَرْضَيْنَ نَسْتَرْعِي لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ } ، وقوله تعالى { أَلَمْ نَكْفُرْ بِأَيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ إِنَّا إِخْدَعْنَا عِندَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ السَّمٰوٰتِ أَلْمُؤَدَّاتِ } . وقوله تعالى { وَقَالَوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّي بَيْنَ } مع قوله { وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِاللَّاتِي تَقْرَرُّ بِكُمْ عِندَنَا زُلْفَى } . وقوله تعالى : { وَلَئِن رَّجَعْتَ إِلَى رَبِّي إِنْ لَيْ عِنْدَهُ لَلْأَحْسَنٰى فَلَا تَذُنُّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَا تَنْذِرُهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ } . .

وقد أوضحنا الآيات الدالة على هذا في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى : { وَلَئِن رَّجَعْتَ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا } . .

وأما احتقار الكفار لضعفاء المؤمنين وفقرائهم ، وزعمهم أنهم أحقر عند الله ، من أن يصيبهم بخير ، وإنما هم عليه لو كان خيراً لسبقهم إليه أصحاب الغنى ، والجاه والولد ، من الكفار فقد دلت عليه آيات أخر كقوله تعالى في الأنعام : { وَكَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهٰؤٰلِئِ مِنْ آلِ اللَّهِ عٰلَیْهِمْ مِّنْ بَیِّنٰتٍ } . .

فهمزة الإنكار في قوله : أهؤلاء من اؑ عليهم من بيننا ، تدل على إنكارهم أن اؑ يمن
على أولئك الضعفاء بخير .